

## السيفنة

١ تمهيد

في اللغة العربية لتعاطف مبهمة لا تخص لاسيما ما يتعلق منها بعلم المواليذ ( اي الجماد والنبات والحيوان ) ونحن في حاجة الى حلها لكن من اين لنا علم النيب او علم حل المطلبات او علم حل الرموز ؟ — على ان اصحاب العلوم المتفرغين لهذه الفروع قد يلغون ما طالما تنمق اليه الانفس . واهمال حلها ضرب من العار علينا — لوجاز لنا هذا التعبير . وكنت دائماً ممن اوقف اغلب صروري في سبيل هذه المنفعة حين اللغة وعشاقها . فاهتديت الى كثير من تلك الحقائق التي اعتبر كل واحدة منها عترة العثور على كثر جديد لاني عن لا يحتمل ان ترمى لتنة بنقص او شائبة . ومما حققت معرفته هو السيفنة . فاهي السيفنة ؟

٢ السيفنة عند اللغويين

سيفنة على ما في القاموس ( وقد ذكرها بدون اداة التعريف ) وضبطها بكسر السين وفتح الفاء والنون المشددة : طائر عصف لا يقع على شجرة الا اكل جميع ورقها . ثم زاد على هذا البيان صاحب تاج العروس بقوله : كذا رواه ابن الاثير . ويقال له سيفنة بالياء ايضاً كما تقدم في سين ( وقد ذكرها هناك بالياء ) قال الخافظ : والحق انه حرف بين حرفين . انتهى . اما صاحب لسان العرب فانه لم يذكره شيئاً . واول شيء تلاحظ في كلام اللغويين انهم قالوا : سيفنة : طائر . . . . . وكان يجب ان يقال هكذا : السيفن ( باداة التعريف ) طير ( جمع طائر ) والواحد منها بهاء ( اي السيفنة ) ويجب ان يعبر هذا التعبير لان السيفنة اسم واحد لذلك الطائر ولا يمكن ان يتدأ بالكسرة فن الواجب ان يعرف . كما انك لا تستطيع ان تقول مثلاً : حمامة : طائر . . . . . بل الحمامة . ومن الغريب اننا لم نجد احداً خطأ القاموس والتاج على هذا التعبير المعطوف . فجل من لا عيب فيه

لكن ما هذا الطائر الذي يكون في مصر ويفعل تلك الافعال الشنيعة : — فصر او ديار مصر معلومة انيوم وقد وقف العلماء على ما فيها من المواليذ ولم يذكروا لنا طائراً بتلك الصفات المسمومة . وقد ذهبنا مرتين الى الاقطار المصرية

وسألنا بعضاً من خاصتها وعامتها فلم يفيدونا شيئاً وانكروا وجود ذلك الطائر في بلادهم . فكيف اذاً نجتمع بين كلام الاقدمين والمحدثين ؟ وقد فتشنا في كتب علماء الفرنجة عن اسم طائر يأتي تلك القضايع فلم نهند الي واحد يأتي تلك المساويء . ثم سألنا اهل العلم المتفرعين لتلك الاجناس فانكروا وجود طائر بتلك الصفات المذمومة . وما زلنا لسأل ونبحث ونقر مدة نحو اربعين سنة حتى كدنا نياس من تحقيق اميتنا الى ان اهتدينا الى ضاللتنا بها

٣ ما المراد بالطائر عند العرب

واول شيء يجب على العالم ان يعرفه قبل ان يبحث في حقيقة معنى النقطة هو: ما يريد العرب بالطائر. فان كبار لغويهم لم يعرفوه معرفة كافية شافية والذي جاء في دواوينهم . الطيران ( بدون تعريف الطائر ) فقالوا : هو حركة ذي الجناح في الهواء بمخارجه ، فيكون الطائر في عرفهم : كل ذي جناح . فاذا كان الامر كذلك فعناه واسع يقابله حينئذ في لغة الافرنج الفاظ متعددة . لآكلة واحدة كما يذهب الوم اليه . ولهذا اخطأ جميع الافرنج الذين نقلوا دواوين اللغة العربية بترجمة كلمة طائر هنا بكلمة avis اللاتينية كما فعل فريشاك ومن نقل عنه . وبكلمة oiseau الفرنسية كما فعل كزيميرسكي ومن اختصر كتابه . وبكلمة bird الانكليزية كما نقلها لين ومن شاعره . وكذلك اخطأ جميع اصحاب الدواوين العربية الذين نقلوا كلام الاقدمين بدون ان يوضحوه ظانين ان كلمة طائر في السيفنة هو هذا الطائر الذي يكون جناحه من الريش الممهود وليس الامر كذلك فان كلمة طائر جاءت عند العرب بمعنى كثيرة حتى اتهم اطلقوها على ما يطير من اذنياب والنحل والجراد وغيرها . فانهم مثلاً عرفوا اليسوب وهو عند الافرنج Libellule بقولهم : طائر اصغر من الجرادة . فاعتبروا الجرادة طائراً واعتبروا اليسوب طائراً ايضاً فشهروا طائراً بطائر . اما الافرنج فلا يطلقون اسم الطائر اي niseau على ذلك . فيستنتج من هذا ان الطائر عند العرب كل ما يطير وهكذا فعل ابن سيده في المختصر فانه اطلق صغار الطير على الخرق والمخاطف والبنات كما اطلقها على الجنادب واليماسيب والنحل والجراد والذباب وعددها من صغار الطير . وقد عرف العرب اليراعة بأنها طائر صغير ان طار بالنهار كان كبعوض الطير وان طار بالليل كان كأنه شهاب قذف او مصباح يطير الحيوان لاحظ : ٨٥٥ )

وقد تجاوز العرب كل حد في استعمال كلمة طائر قائمهم اطلقوها على ما يحول في الهواء ولو لم يكن ذا جناحين . قائمهم اطلقوا اللفظة على ما سماه الافرنج *feu de St. Elme* وبالانكليزية *St. Elme's fire* وعلى ما سماه ايضا الفرنسيون *feu-fallet* والانيكيز *will-o-the-wisp* اما دليلي على ذلك فهو ما جاء في كتاب نجبة الدهر في عجائب البر والبحر لشمس الدين الدمشقي في ص ١٥٨ من كتابه المطبوع في بطرسبرج وهذا نصه : « ويبحر هذه الجزيرة ( اي جزيرة اصرار في بحر الهند ) طائر النور : وهو طائر بحري بري وسما اذا طار على المركب أو قارب به » اد . قلت فالبحري هو المسمى عند الافرنج باسم الاول والبري هو المسمى بالاسم الثاني على ما ذكرناه فويق هذا . ولم يجد حقيقة هذا الطائر احد قبلي . وقد عرب المحدثون اللغتين المذكورين بدون ان يهتدوا الى الحقيقة على ان العرب سموا البحرى منهما باسم طائر النور واما الارضي فسموه « الارقان » وقد بحثنا على ذلك في غير هذه المجلة . وسمى البعض الآخر البحرى منه « بالهمس » والكلام في ذلك يطول

### في التحقيق العلمي لما يأكل اوراق الاشجار

لقد رأينا ان الطائر عند العرب قد يكون بغير المعنى المؤلف عندنا اليوم فلننظر الآن ما الذي يأكل الشجر . اما الذي يأكل اوراق الشجر او اثمارها فلا يكون الا من دودة الربيع المعروفة عند المحققين بالسرفنة وعند الفرنجة باسم *chenille* ولهذا اطلقوا اسم آكل الورق *phyllophages* عليها وخلي الجراد وعلى ضرب من الخنافس . فحتمل ان تكون السيفنة ضرباً من الخنافس . الا ان الذي يحملنا على ان لا نظن انها من جنس الخنافس او الجعانس وانعجاس ( على ما يقول العرب الاقدمون ) هو وصف ان السيفنة ( وهي الواحدة من السيفن ) لا تنبع على شجرة الا كانت جميع ورقها . مما يدل على ان الواحدة منها تشكك بالشجرة فتسك ذريعاً ولا تطير عنها الا بعد ان تكون قد نزعت منها اوراقها . وهذا الوصف لا يصح الا على نوع من الجراد المدروف عند العلماء باسم *acridian migratorium* وعند الفرنسيين *acridian migratorium* فهو لا يسقط على شجرة الا عراها من ثوبها وجردتها تجريداً . ووصفه أشهر من ان يذكر فوجب بعد هذا التحقيق ان يقول اصحاب المصاحف في تعريف السيفنة : طائر

عنى خلق الجراد او ضرب من الجراد يكون في مصر وغيرها من البلاد لا يقع على شجرة الا اكل جميع ورقها. حينئذ يفهم ان هذا الظاهر موجود وليس خرافياً كما توهمه بعضهم اخذاً لكلام العرب على ظواهره

٥ تعريف العلماء للسيفة ووصفها أو تحذيرها

التعريف اللغوي وان كان حسناً فهو لا يفيد فائدة التعريف العلمي فان هذا يكون كافياً وافية شافية ولهذا يحسن باصحاب الدواوين اللغوية الحديثة ان يتبعوا العلماء المعصرين في تعاريفهم ويلتصموا ابتداءً طعاماً جديداً لا ان يطمسوه طعاماً عتيقاً قد اكل عليه الدهر نفسه وشرب. وعليه يجب علينا ان نعرف اليوم السيفة او قل اليفن هكذا: « ضرب من الحشرات من رتبة المستقيبات الاجنحة من الفصيلة المسماة باسمها اي السيفية » . ودونك وصفها :

راسها بيضى مركوز طرفه الخلفي في منحنيها . وعيناها لوزيتان بارزتان وقرناها اسطوانيتان خيطيان ومشقراها كثيرا الاسنان الحادة وجناحها يتجاوزان غالباً بطنها . وهي سريعة الحركة والتنقل وهي لا تمشي حسناً لكنها تقفز قفزاً بسرعة غريبة وهي كثيرة الاضرار للزروع والاشجار وتظن من ديار الى ديار ومن ذلك اسمها عند الافرنج السيفة الرحالة. وتعرف من الخارج بحمها الضارب الى الخضرة وجناحها الاديكنين وفيها نكت طحلاء وساقاها وردياً اللون وطول جناحها اذا فتحتها اكثر من ١٠ سنتيمترات

٦ اضرارها

اما اضرارها فحدث عن البحر ولا حرج . فان هذا الطويتر الحقيق هو الذي يتلف كل سنة بعض ديار شمالي افريقية . وقد اشتهر فتك السيفة بالجزائر في سنة ١٨٤٥ و ١٨٦٦ و ١٨٧٣ وكانت جرائد ذلك العهد ذكرت ما دمرت من المزارع فكان شيئاً هائل القدر . واحسن تصوير لمقامها هو ما كتبه العلامة كشكل دركولائس Kunckel d'Herculeais في كتابه الجراد واليفن وغزواتهما Les Sauterelles, les acridium et leurs invasions ص ١٥ اذ يقول :

٥ اليفن كسائر ذوات النقرات آكلة البقول مبنية الخلق بناء يمكنها من تحويل النجعة الابنة النجعة حيوانية . الا ان اليفن يهجم على الابنة النافعة لابن آدم كل النفع ليتخذ لنفسه المواد اللازمة لنموه وحياته . واهم طعامه ما

يقدم منها على ساق من الفصيلة النجيلية. ولو كانت هذه الدويبة في حالتها الوحشية لما ضربت منها الاً ثقب لكن لما كان الانسان يمرض لها رقماً واسعة المسافة ولكنها نباتات لذيذة لها كالحنطة والشعير والخرطال والجوردن ونحوها فتربى نفسها من سمه السعداء لحصد تلك المزروعات على نقتها ولتصمتها ولا تسمز من ان تأكل الحنطة وهي خضراء. الاً ان الجوع هو اعظم وازع لها فاذا لم يقع لها ما يطيب اشتهاها فاتها تتعرض للنباتات المزروعة معها كان جنسها حتى انها لتأكل البراعم والاوراق وعناقيد العنب والعسلج والسوق ومنها يقع تحت منها اذا ما الجأها الجوع الى ذلك. واذا اشتد بها الطوى اكلت ما لا تلتفت اليه في ابلت اليسر فهي تأكل الدفلى والضرى والنخل والدرم وغيرها. واذا اشتقت على الهلاك جوعاً تسفن (ومن ذلك اسمها اي تقشر) لحاء الشجر بل ربي منها ما اكل ستور المراكب حينما حصر في بيوت مغطاة باستار مخيطة ومنها ما قرص الشياح والخرق بل الكاغد نفسه. واذا مات منها واحدة نهشت جنتها ورفيقاتها او آرتها. اهـ.

فهذا الرصف كافٍ ليعتبر لك أعمال السيفن العظيمة

٧ اوهام الكتاب

بيناً في ما تقدم بسطة اغلاط اللغويين في ما اوردوه بصدد تعريف هذه الحشرة الضارة. لسكتنا وجدنا في كتاب الانساب للسمراني المطبوع طباعاً على الحجر على ثقة شركة جب ما هذا ثقلاً بحرفو: « ابو اسحق ابراهيم بن علي بن ديزيل الهمداني (بالدال المعجمة والذي ورد في نسخ القاموس وفي التاج بالدال المهملة وهو خطأ) المعروف بسيفنة. وانما قيل له سيفنة (كذا ورد مرة بالنساء واخرى بالباء ليشير الى جواز الحرفين) باسم طائر يقع على الشجر ويقلع الاوراق بمنقاره حتى لا يترك عليها ورقة واحدة فلقب ابراهيم ابن ديزيل، لانه اذا ظفر بمحدث لا يفارقه حتى يسمع منه جميع ما عنده ويكتبه ولنا في حرصه حكاية عجيبه مات يوم الاحد آخر يوم من شعبان سنة ٢٨١. انتهى

قوله: « يقلع الاوراق منها بمنقاره » يوم ان للطائر منقاراً او ان هذا الطائر هو طائر حقيقي من طير ذوات الاجنحة اجنحة الريش. الاً انا نجد هذا الكلام من زيادة الناسخ والدليل ان القزويني نقل كلام ابن السمراني ولم يذكر ما جاء هنا بل قال: « قال ابن السمراني في الانساب انه طائر عصر يلقي اوراق

الاشجار عنها حتى لا يبقى منها شيئاً يشبه به ابو اسحق « فزيادة واضحة. ومهر  
يكن من امرها فاصول العربية تميز هذا التعبير ايضاً : لان المتعار مقدم الشيء  
فانهم يقولون مثلاً متعار الخفا على التشبيه فلا مانع من القول ان هذا الجراد  
ياكل الاوراق عنقاره اي يتناولها بغيره لياكلها  
٨ الخلاصة

نحن في حاجة الى تحقيق ما عندنا من الالفاظ المهمة لعدة امور منها : ١.  
لمعرفة ما كتب عنها اجدادنا العرب وللوقوف على ابحاثهم وافكارهم واقوالهم . ٢.  
تخلصاً من استعمال الالفاظ الاعجمية التي يكثر فيها ثقل الموازين وغرابة الصيغ  
وعجمة الحروف . ٣. مباحة بلغتنا وبانها لا تحتاج الى الالفاظ الدخيلة كما تحتاج  
الياساير اللغات . ٤. تحقيقاً لامر جليل وهو ان اجدادنا الاقدمين كانوا قد عنوا  
بالبحث عن اشياء فطن انهم لم يمنوا بها . ٥. الانقطاع عن وصفهم بالجهل المطبق  
وبالقول انهم لم يعرفوا الا الامور التي تتعلق بالمعيشيات والحياة البدوية  
على اننا لا يحق لنا ان نتسك بكل ما قالوه تمسكاً اسمي بدون ان نركن الى  
تقدم العلوم في هذه الاعصر المتأخرة . فان العرب مثلاً لم يعتبروا النعام طائراً  
بل حيواناً من حيوانات البر كالابل مثلاً . فقد قال الجاحظ : يقال لقدم البعير  
خف والجمع خفاف ومنم والجمع مناسم وكذلك يقال في النعامة ويقال لاني  
النعام قلوب كما يقال ذلك في الابل وانما قالوا ذلك لما رأوا فيها من شبه الابل .  
وقال ايضاً ( في ١ : ١٥ من كتابه في الحيوان ) والجراد طير والمثل المضروب به  
( اي طير من جرادة ) اشهر . . . وليس بازريش والقوادم والاباهر والحوافي  
يسمى ( الطائر ) طائراً ولا بعددو ليسقط ذلك عنه . الا ترى ان الخفاش والوطواط  
من الطير وان كانا امرطين ليس لهما ريش ولا زغب ولا شكير ولا قصب وهما  
مشهوران بالجل والولادة وبالرضاع وبظهور حجم الأذان وبكثرة الاسنان ؟  
والنعامة ذات ريش ومنقار وبيض وجناحين وليست من الطير ؟ انتهى . فان  
المحدثين يعتبرون النعام من الطير والخفاش والوطواط من الحيوانات والجراد من  
الحشرات . فالقول بما قال به العرب غير صحيح والعمدة اليوم ما حقيقة ابناء البحث  
والتدقيق . وعليه يقال ان السيئة من الحشرات لا من الطير وبهذا التقدير كفاية